

10 مفاتيح لاستقبال رمضان: منهج عملي للتزكية والانضباط الروحي



الأربعاء 18 فبراير 2026 م 07:00

بمناسبة اقتراب شهر رمضان المبارك، يطرح د. توفيق علي مراد زبادي تصوّراً عملياً لكيفية استقبال الشهر والاستفادة منه، عبر «10 مفاتيح» يراها ضرورية لحسن الاستقبال وتعامل الانتفاع. يبدأ حديثه بالتطهير وإصلاح القلوب وقطع الخصومات، ويعمّ بتشويق النفس للطاعة والتعزّز لنفحات الله والترويض قبل الفرائض. وبصّل إلى التنويع في التطوع والتلائّس بالله وتدبّر القرآن، باعتبار التقوى هي الغاية العظمى من الصيام وأصل الاستقامة.

تطهير القلب وبناء الشوق والتعزّز لنفحات

يبدأ الكاتب بمفتاح التطهير، ويعزّزه كتاكّف الطهارة بمعناها الواسع، لا بوصفها طهارة جسد فقط. التطهير هنا يتضمن تزكية النفس وتنقية القلب من الرذائل. يقدّمه كوسيلة وكغاية في وقت واحد. الوسيلة تعني تهيئه القلب لاستقبال نفحات الرحمة كما يهيئ المزارع أرضه قبل الغيث ليحسن الإنبات. والغاية تعني أن الصيام ذاته يزكي النفس ويطهّرها من الأخلاق الرديئة، فيتحول الاستقبال إلى مسار ممتد داخل الشهر.

وبتوقف عند أصل عملي داخل هذا المفتاح: إصلاح القلوب وقطع الخصومات. هنا يستشهد الكاتب بحديث ينتصر منطق الأولويات: «أنظروا في هذين حتى يطالحا». الاستدعاء لا يأتي كزينة بل كقاعدة سلوكية. معنى ذلك أن بوابة رمضان لا تبدأ من كثرة الأعمال فقط، بل من تصفية العلاقة مع الناس، لأن الخصومة تُثقل القلب وتضعف قابلية الانتفاع، بحسب البناء الداخلي للنص.

بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى مفتاح التشوّق. التشوّق عنده هو تكالّف الشوق، وهو نزع النفس ولهذهها إلى المحبوب. يقرر أن الشوق لا يعرفه إلا من كابده ولا يدرك لذته إلا من ذاقه، ثم يربطه بسلوك المؤمن تجاه مواسم العبادة. هنا تصبح الرغبة نفسها عبادة تمهدية، لأن المسلم يتطلع إلى القيام والصيام كما يتطلع إلى فرصة لا يريد أن تفوته.

ولتعزيز هذا المعنى، يورد مثالين من الودي والسيرتين الأولى قول موسى عليه السلام: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى}. الاستشهاد يضع الشوق في صيغة اندفاع نحو رضى الله لا نحو عادة موسمية. والثاني قول النبي: «أتاكم رمضان شهر مبارك». الكاتب يقرأ العبارة كوسيلة لتشويق الأمة، أي صناعة استعداد نفسي قبل دخول الشهر، لا انتظار أن يدرك القلب من تلقاء نفسه.

ثم يأتي مفتاح التعزّز لنفحات الله. يقرّ الكاتب أن الله في أيام الدهر نفحات من رحمته، وأن السعيد من تعزّز لها طريقة التعزّز محددة في النص: تزكية القلب، كثرة الدعاء، دوام الذكر في كل حال، قياماً وقعوداً، وفي شؤون الدنيا الفكرة أن العابد لا يدرى متى يفتح له باب المعنون، لذلك لا يربط القرب بوقت واحد أو شكل واحد، بل يجعل الذكر والدعاء نعمة حياة. ويستشهد بحديث النبي: «إن لم يركم في أيام الدهر نفحات فتعزّزوا لها»، ليحول المعنى إلى توجيه مباشر لا توصية عامة.

[ترويض النفس قبل الفرض و اختيار الصحبة وإعادة تشكيل السلوك](#)

ينتقل الكاتب إلى مفتاح الترويض \square الترويض هنا هو تلبين النفس وتهيئتها بالطاعات قبل الدخول في الفرائض العظيمة \square المعنى المقصود أن العبادة الثقيلة إذا جاءت بغثة قد تُنْتَج نفوراً أو تراجعاً سريعاً، بينما التدرج يخلق ألفة واستقراراً \square الكاتب يعطي مثلاً عملياً واضحاً: الإكثار من السنن والتواfwاف قبل رمضان، كما كان النبي \square يكثر من صيام شعبان \square في هذه النقطة لا يقدم النص موعظة، بل يقدم آية: تدريب مبكر يخفف ثقل العبادة ويعنّع "الصدمة".

بعد الترويض يأتي مفتاح التخيّر، ويقصد به اختيار الصحبة الصالحة عالية الهمة \square السبب ليس اجتماعياً فقط، بل تعدياً: الصحبة تعين على الطاعة، ترفع الهمة، تدفع إلى المعالي \square يستشهد الكاتب بالآية: (وَإِذْ بِرَبِّكَ وَعَلَى الَّذِينَ يَذْهَبُونَ رَأْفَهُم). الآية \square تستخدم هنا كمعيار للاصطفاف: الصبر مع أهل الذكر ليس خياراً جانبياً، بل جزء من بناء الثبات \square

ويعزز الكاتب فكرة الصحة ببيت المعنى المتداول: "إخوان صدق إن دعوتهم عونوا". الرسالة أن الهمة لا تُصنَع في الفراغ \square البيئة إما ترفع الاستعداد أو تستهلكه \square من هذا المنطلق يصبح "التخيّر" قراراً تأسيسياً قبل دخول رمضان، لأن الشهر قصير ومنافسات النفس كثيرة، والصحة السليمة قد تهدر ما تُنْتَج قبل الشهر في أيام \square

ثم يقدّم مفتاح التخلّي والتخلّي \square التخلّي هو ترك الرذائل، والتخلّي هو ليس الفضائل \square الكاتب يجسم الفكرة بجملة معيارية: المقصود من رمضان ليس ترك الطعام فقط، بل ترك الذنب وتهذيب الأخلاق \square هنا يضع النص الأخلاق في صدارة معنى الصيام، لا كتحسين إضافي \square ويستدعي معنى الخسارة لمن أدرك رمضان ولم يغفر له، كما ورد في دعاء جبريل عليه السلام، وأقْنَى عليه النبي \square الاستدعاء يرفع مستوى الإنذار: الفشل في رمضان ليس نقراً في النشاط فقط، بل خسارة فرصة مغفرة مؤكدة التذكرة في النص \square

تدوّق العبادة وتنويع التطوع والأنس والتذكرة وصولاً للتقوى

يأتي مفتاح التدوّق ليضبط الفرق بين أداء العبادة وحياة العبادة \square الكاتب يوضح أن المطلوب تدوّق حلوة الطاعة لا مجرد إنجازها \square يقرر أن للإيمان طعم وأن للعبادة لذة \square ثم يستشهد بحديث النبي \square : «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رئا». هذا الحديث يوظّف كمعيار حيادي ومعنوي معاً: الرضا يخلق طعماً، والطعم ينعكس في انشراح الصدر للطاعة والصبر على مشقتها \square

وبضيف الكاتب شهادة سلوكيّة منسوبة لبعض السلف: "كابدت الصلاة 20 سنة ثم تلذّذت بها باقي عمرى". الرقم هنا يُظهر أن التدوّق ليس لحظة عابرة، بل نتيجة مجاهدة طويلة \square المعنى العملي أن من لا يشعر بلذة فورية لا ينسحب، لأن اللذة قد تأتي بعد الاستمرار، وهو ما يخدم فكرة الترويض السابقة ويكمّلها \square

بعد ذلك يطرح مفتاح التنويع \square المقصود تنويع أبواب التطوع حتى لا تتعلّم النفس، ولكي يفتح للعبد أكثر من باب من أبواب الخير \square الكاتب يشير إلى أن النبي \square أخبر أن أهل الأعمال يُدعون من أبوابها، وأن من فتح له باب خير فليبادر إليه، لأنه قد لا يفتح له مرة أخرى \square هنا تتحول "خطة رمضان" من جدول واحد ثابت إلى مسارات متعددة، وهو ما يقلل الملل ويزيد فرص الاستمرار \square

ثم يأتي مفتاح التأنّس بالله، بوصفه روح القرب وسكن القلب إلى الله وذهاب الوحشة عنه \square الكاتب يدعم المعنى بالآية: (فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعْوَةَ الدَّاعِ). الآية تضع الأنس في سياق الدعاء والقرب، لا في سياق المشاعر المجردة \square ويحدد الكاتب ثمرة الأنس: طمأنينة، رضا، يقين \square هذه ليست نتائج إنسانية في النص، بل نتائج مرتبطة بالطاعة والمحبة كما يقرّ الكاتب \square

وبختم بالمفتاح العاشر: التدبّر \square التدبّر عنده هو التأمل في القرآن وفهم معانيه والوقوف مع أوامره ونواهيه وتمثلها في الواقع \square يضع الكاتب معياراً سلوكيّاً للصالحين: لا يمرون بالآيات مروزاً عابراً، بل يقفون عندها ويدعون بها \square ويدرك مثلاً من سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الوقوف مع الآيات والدعاء بها، بوصفه ممارسة عملية لا شعراً \square

وأخيراً يربط الكاتب المفاتيح العشرة بغاية واحدة: التقوى \square يصفها بأنها الغاية العظمى من الصيام، وزاد القلوب، وأصل الاستقامة \square وبقرأن تحقق هذه المفاتيح يجعل رمضان نقطة تحول حقيقة في حياة المسلم لا مجرد أيام معدودة تعضي \square الخيط الجامع في البناء كلّه هو تحويل الاستقبال من حالة عاطفية إلى برنامج ضبط داخلي: قلب يُطهّر، نفس تُرْوَض، صحبة تختار، عمل يُنْوَع، قرآن يُتَدَبّر، وقرب يُطلب حتى تتشكل التقوى كأثر مستمر بعد انتهاء الشهر \square